

أداب الحوار العقدي في القرآن الكريم

إبراهيم عليه السلام (أنموذجاً)

أستاذ العقيدة بالجامعة القاسمية - الإمارات العربية المتحدة
- المعار من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

د. أحمد محمد الزبير

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة لمعرفة أداب الحوار العقدي في القرآن الكريم (إبراهيم عليه السلام) أنموذجاً بأسلوبٍ سهل، وميسر لمعالجة التعقيدات التي اتسمت بها بعض الكتب العقدية. قد عرضت الموضوعات الأساسية في أداب الحوار العقدي في القرآن الكريم (إبراهيم عليه السلام) أنموذجاً معتمدةً على القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومستعيناً بأقوال العلماء متى كان ذلك لازماً، واتبعت المنهج الإستقرائي التحليلي الذي يناسب مثل هذا النوع من الدراسات، وقد اعتنت بجمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذات الصلة بموضوع الدراسة، وقامت بضبطها ضبطاً صحيحاً باعتبارها أساس البحث وروحه. خرجت الدراسة بنتائج مهمة تسهم في بيان أداب الحوار العقدي في القرآن الكريم (إبراهيم عليه السلام) أنموذجاً، وتسهم في إرساء منهج لتطوير البحث العقدي، لاسيما بعد اشتداد الحاجة إلى المعارف، والدراسات الشرعية، كما خلصت الدراسة إلى توصيات علمية منها ضرورة الحوار القرآني مع أصحاب الملل المختلفة يدفع كل مسلم صادق في إيمانه إلى أن يسلك سبيل القرآن في الدعوة بكل الوسائل الخطابية والجديلة والبرهانية، توضيح الإسلام هو دين الحوار ولكنه الحوار المتكافئ القائم على إرادة الفهم، وإرادة العلم، وإرادة التعايش بعيداً عن مختلف الإكراهات السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية.

Abstract:

This study aims to know the etiquette of doctrinal dialogue in the Noble Qur'an (Ibrahim, peace be upon him) as a model in an easy and easy way to address the complexities that characterized some doctrinal books. The basic topics in the etiquette of the doctrinal dialogue in the Holy Qur'an (Ibrahim, peace be upon him) have been presented as a model based on the Holy Qur'an and the Prophetic Sunnah, and using the sayings of scholars whenever necessary, and have followed the inductive and analytical approach that suits this type of studies, and has taken care of collecting Qur'anic verses. And the Prophetic hadiths related to the subject of the study, and they were properly controlled as the basis and spirit of the research. The study came out with important results that contribute to clarifying the ethics of doctrinal dialogue in the Holy Qur'an (Ibrahim, peace be upon him) as a model, and contribute to establishing a method for developing doctrinal research, especially after the intensification of the need for knowledge and legal studies. The different sects push every Muslim who is sincere in his faith to follow the path of the Qur'an in advocating by all means of rhetoric, argument and demonstration. Clarifying Islam is the religion of dialogue, but it is an equal dialogue based on the will to understand, the will to learn, and the will to coexist away from various political, social, psychological and intellectual constraints.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على دربهِ إلى يوم الدين؛ وبعد فالتواصل بين البشر أمر فطري لا يمكن للإنسان أن يستغني عنه، ولقد كان الحوار مسالكاً من مسالك هذا التواصل حتى أصبح وسيلة من وسائل العلم والمعرفة، فجعله الأنبياء والرسل وسيلة في دعوة الناس إلى الخير، واعتمدت عليه الشعوب في تواصلها وتفاعلها مع بعضها البعض. والمتفكر في واقعنا المعاصر ينظر إلى مواقف الناس من الحوار أصبح متبايناً ومختلفاً، ترى بعض الناس لا يؤمن بالحوار أصلاً، آخرون يريدون الانفتاح الكامل على غيرهم والتبعية المطلقة لهم تحت مسمى حوار الحضارات.

في وجود هذا الواقع المعقد كان وجوباً علي أرباب العقيدة الصحيحة، أن يوضحوا آداب وقواعد وضوابط الحوار مع الآخر سواء أكان الآخر مؤمناً أو غير مؤمن. وتوضيحاً لهذه المنزلة السامية وخدمة لهذا الموضوع فقد وقع اختياري على موضوع آداب الحوار العقدي في القرآن الكريم (إبراهيم عليه السلام) أُمُودجاً..

الدراسات السابقة :

طرق آداب الحوار العقدي في القرآن الكريم (إبراهيم عليه السلام) أُمُودجاً، أحسب أنه لم يسبقني إليه أحد فيما أعلم بل قد سبقت دراستي لهذا الحوار، وأدابه في القرآن الكريم دراسات من حيث تفسير الآيات التي تتحدث عن الحوار في القرآن الكريم من شرح كلمات، ومفردات الآيات من منطلق تفسيري عام، ولذلك فإن الباحث يسعى أن تكون هذه الدراسة جامعة في هذا المجال ومتسمة بالحيادية والموضوعية وهما أهم شروط البحث العلمي .

تعريف الحوار:

أولاً : تعريف الحوار لغةً:

قال ابن منظور⁽¹⁾ في لسان العرب: (الحوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وهم يتحاورون: أي يتراجعون بالكلام إذاً فالحوار هو تراجع الكلام والتجاوب فيه).⁽²⁾ ثانياً: تعريف الحوار اصطلاحاً: فهو المراجعة في الكلام و منه التحاور⁽³⁾

ثالثاً : ألفاظ ذات صلة :

1. المناظرة: لغة «التناظر: هو التواضع في الأمر ، و نظيرك الذي يراؤضك و تناظره و ناظره من المناظرة ، و النظير المثل ، و فلان نظيرك ، أي مثلك و المناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتياه»⁽⁴⁾
2. المناظرة اصطلاحاً: « هي النظرة بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين معا، إظهارا للصواب»⁽⁵⁾
3. الجدل لغة : « شدة الخصومة ، والجدل مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة «هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، ورجل جدل ومجدل ومجدال : شديد الجدل يقال جادلت الرجل فجدلته جدلاً : أي غلبته ، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام وجادله أي خاصمه»⁽⁶⁾
4. الجدل اصطلاحاً: « هو دفع المرء خصمه عن افساد قوله بحجة أو شبهة ، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة »⁽⁷⁾

مفهوم العقيدة :

اولاً تعريف العقيدة في اللغة: عقد العين والقاف والبدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها من ذلك عقد البناء، والجمع أعقاد وعقود. ⁽⁸⁾ أن أصل العقد نقيض الحل، عقده يعقده عقداً وتعقاداً، وعقده، وقد انعقد، وتعقد، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات، والعقود وغيرها، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات، والعقود وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم. وفي اللسان: ويقال عقدت الحبل فهو معقود، وكذلك العهد، ومنه عقدة النكاح، وانعقد الحبل انعقاداً. وموضع اعقده من الحبل: معقد، وجمعه: المعقود. وعقد العهد، واليمين، يعقدنهما عقداً وعقدنهما: أكدهما قَوْلُ الله تَعَالَى: وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَاتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ⁽⁹⁾ وعاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ. وَقَدْ فُرِيَ: عَقَدَتْ، بالتشديد، مَعْنَاهُ التَّوَكُّيدُ والتَّغْلِيظُ كقوله تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ⁽¹⁰⁾ ومما سبق يتضح أن العقيدة في اللغة بمعنى الربط والشدة والإحكام

ثانياً تعريف العقيدة في الاصطلاح: الاعتقاد هو حكم الذهن الجازم، فإن كان موافقاً للواقع فهو صحيح، وإلا فهو فاسد، ⁽¹¹⁾ والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الإعتقاد دون العمل وبالدينية المنسوبة إلي دين محمد ﷺ. والعقيدة هي الأمور التي يجب أن يُصَدَّقَ بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقينا ثابتا لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك. أي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقا للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظناً؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يُسمى عقيدة. وسمي عقيدة؛ لأنَّ الإنسان يعقد عليه قلبه ⁽¹²⁾

والعقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبتت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ⁽¹³⁾ ومما سبق ذكره يتبين أن للعقيدة تعريف اصطلاحى راجح هو الاعتقاد الجازم بربوبية الله والتصديق بجميع اركان الإيمان وأمور الغيب وكل ما جاء في كتاب الله سنة رسوله.

أهمية العقيدة الإسلامية:

تظهر أهمية العقيدة الإسلامية من خلال أمور كثيرة منها ما يلي:

أولاً: أن حاجتنا إلى هذه العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتنا إليها فوق كل ضرورة؛ لأنه لا سعادة للقلوب، ولا نعيم، ولا سرور إلا بأن تعبد ربها وفاطرها تعالى. قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ⁽¹⁴⁾

ثانياً: أن العقيدة الإسلامية هي أعظم الواجبات وأكدها؛ لذا فهي أول ما يطالب به الناس. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» ⁽¹⁵⁾

ثالثاً: أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الوحيدة التي تحقق الأمن والاستقرار، والسعادة والسرور كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. ⁽¹⁶⁾ فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

كما أن العقيدة الإسلامية وحدها هي التي تحقق العافية والرخاء، قال الله تعالى: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ⁽¹⁷⁾

رابعاً: أن العقيدة الإسلامية هي السبب في حصول التمكين في الأرض، وقيام دولة الإسلام بـ الله تعالى: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ⁽¹⁸⁾ (19)

تعريف القرآن:

أولاً: تعريف القرآن لغةً (القرآن من مادة قرأ، ومنه قرأت الشيء، فهو قرآن: أي جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، فمعناه: الجمع والضم. ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنيماً، أي لم تضم رحمها على ولد⁽¹⁾ . قال أبو عبيدة -رحمه الله-: (... وإنما سمي قرآنًا لأنه يجمع السور فيضمها، وتفسير ذلك في آية من القرآن، قال الله -جل ثناؤه-: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ⁽²⁰⁾)⁽²¹⁾ .

ثانياً: تعريف القرآن اصطلاحاً: قال السيوطي (رحمه الله): (وأما في العرف فهو الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز بسورة منه، فخرج بالمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم: التوراة والإنجيل، وسائر الكتب، وغيره... وقولنا: بسورة منه: هو بيان لأقل ما وقع به الإعجاز، وهو قدر أقل سورة، كالكوثر، أو ثلاث آيات من غيرها، بخلاف من دونها (3) وزاد بعض المتأخرين في الحد: المتعبد بتلاوته، ليخرج المنسوخ التلاوة⁽²²⁾) .

التعريف بإبراهيم عليه السلام:

هو إبراهيم بن تسارخ بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، قالوا: فتزوج إبراهيم سارة، وناحور ملكاً ابنة هاران، يعنون بانية وكانت سارة عاقراً لا تلد ، وانطلق تاريخ بابنه إبراهيم وامراته سارة، وابن أخيه لوط بن هاران، فخرج بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين، فنزلوا حران فمات فيها تاريخ، وله مائتان وخمسون سنة. وهذا يدل على أنه لم يولد بخران، وإنما مولده بأرض الكلدانيين، وهي أرض بابل وما والاها، ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين، وهي بلاد بيت المقدس، فأقاموا بخران وهي أرض الكشدانيين في ذلك الزمان، وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضاً، وكانوا يعبدون

الكواكب السبعة، والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين، يستقبلون القطب الشمالي، ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال. ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل بكوكب منها، ويعملون لها أعياداً وقرايين، وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام، وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفاراً، سوى إبراهيم الخليل، وامراته، وابن أخيه لوط عليهم السلام، وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور، وأبطل به ذاك الضلال، فإن الله سبحانه وتعالى أتاه رشده في صغره، وابتعثه رسولاً، واتخذ خليلاً في كبره قال تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ } (23) { (24)

قواعد الحوار وأدابه:

قواعد الحوار:

لقد رسم الإسلام لأمته أدب الحوار عن طريق العقل والحكمة والكلمة الطيبة، جاء الخطاب الإلهي والمنهج النبوي الكريم موافقاً للفطرة التي فطر الله عليها الإنسان، وهي مخاطبة الناس على قدر عقولهم ، وأداب الحوار كثيرة منها: أولاً: الإخلاص : يتوقف إدراك معاني ومدلولات كلمة الإخلاص على تتبع ذلك في لغة العرب، واستعمال القرآن الكريم والسنة النبوية لها؛ كما أن الإحاطة بفضل الإخلاص وأهميته يستقى من نصوص الكتاب والسنة الحاضرة والمرغبة فيه. أن يراد بالحوار وجه الله تعالى، أي إظهار الحق والوصول إليه، وهذه الرغبة يجب أن تكون موجودة عند الطرفين لا أن تكون الغاية مجرد الغلبة والظهور. قال تعالى: (وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) (25). وقوله ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات) (26) .

ثانياً: العلم: فلا بد إذاً أن يكون فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه، فحاله كحال الطبيب لا يمكنه العلاج حتى يفهم المرض والدواء معاً، قال تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (27) فدللت الآية على لزوم البصيرة وهى الدليل الواضح.

قال ابن القيم رحمه الله: (وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذى يدعو به وإليه بل لابد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد أقصى ما يصل إليه السعي). (28) وقال النووى رحمه الله : (إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء،

فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر، ونحوها فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء).⁽²⁹⁾

ثالثاً: أن يكون هناك تكافؤ بين المتحاورين، أي أن يكونا متقاربين في السوية العلمية والثقافية، وفي العقل والفهم، وإلا فإن الغلبة الظاهرية ستكون للجاهل ولذلك يقول الشافعي⁽³⁰⁾ رحمه الله: (ما ناظرت عالماً إلا غلبته، وما ناظرني جاهل إلا غلبني⁽³¹⁾)

لابد للمحاور أن يكون عالماً بالمسألة التي يريد أن يحاور فيها ومطلعاً على مراجع كافية بشأنها لتعزيز موقفه.

رابعاً: تحديد موضوع الحوار ونقطة الاختلاف والسير في المناظرة خطوة بخطوة قال الربيع بن سليمان⁽³²⁾ رحمه الله: (كان الشافعي إذا ناظره إنسان في مسألة فغدا إلى غيرها، يقول: نفرغ من هذه المسألة ثم نصير إلى ما تريد⁽³³⁾).

خامساً: قطعية النتائج ونسبيتها، فمن المهم أن نعرف أن الرأي الفكري نسبي الدلالة على الصواب أو الخطأ، والذين لا يجوز عليهم الخطأ هم الأنبياء عليهم السلام فيما يبلغون هو وحى عن ربهم سبحانه وتعالى، وما عدا ذلك فيندرج تحت المشهورة: (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب⁽³⁴⁾). وبناءً عليه فليس شرط التحاور الناجح أن ينتهي أحد الطرفين إلى قول الآخر، فإن تحقق هذا واتفقا على رأي فنعم المقصود، وهو منتهى الغاية، وإن لم يكن فالحوار ناجح على كل حال.

آداب الحوار:

أولاً: الإنصاف والعدل من المبادئ الأساسية في الحوار: العدل والإنصاف، ومن تمام الإنصاف قبول الحق من الخصم، والتفريق بين الفكرة وقائلها، وأن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة، ومن نماذج الإنصاف ما ذكره الله - سبحانه - في وصف أهل الكتاب: { لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ }⁽³⁵⁾.

ثانياً: التواضع وحسن الخلق:

وصف الله سبحانه وتعالى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم يظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين، ويظهرون الشدة والغلظة والترفع على

الكافرين ، حيث قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ⁽³⁶⁾) ، قال بن كثير ⁽³⁷⁾ رحمه الله: (هذه صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليّه، متعزّزاً على خصمه وعدوّه، كما قال تعالى : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ⁽³⁸⁾) وفي الحديث الصحيح قوله ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ⁽⁴⁰⁾) ، قال القاضي عياض ⁽⁴¹⁾ في قوله ﷺ: (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله): فيه وجهان: أحدهما: أن الله تعالى يمنحه ذلك في الدنيا جزاءً على تواضعه له، وأنّ تواضعه يُنْبِئُ له في القلوب محبةً ومكانةً وعزّةً. والثاني: أن يكون ذلك ثوابه في الآخرة على تواضعه ⁽⁴²⁾ أي يرفع منزلته في الدنيا عند الناس ، وكذلك يرفعه في الآخرة ويزيد من ثوابه فيها بتواضعه في الدنيا ومما ينافي التواضع : العجب والغرور والكبر.

ثالثاً : الصبر: الصبر من أكثر الأخلاق التي اعتنى بها دين الإسلام؛ لذا تكرر ذكره في القرآن قال الإمام أحمد بن حنبل ⁽⁴³⁾ : (ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً ⁽⁴⁴⁾) ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ⁽⁴⁵⁾) .

رابعاً: الرفق:

لأن هذه الصفة الطيبة - أعني الرفق - هي من الصفات المحببة إلى الخلق كما يحبها الخالق جل وعلا قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } ⁽⁴⁶⁾ وقال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } ⁽⁴⁷⁾ وقال سبحانه: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } ⁽⁴⁸⁾ وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف». (1) قال الإمام أحمد رحمه الله: (والناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجلاً مباحناً معلناً بالفسق فيجب عليك نهيهِ وإعلانه). (2) وقد كان النبي ﷺ أرفق الناس بالمدعوين كتعامله مع الأعرابي الذي بال في مسجده، (3) والرجل الذي تكلم في الصلاة (4) وغيرها من الحوادث.

خامساً: حسن الاستماع:

لا بد للمحاور الناجح أن يتقن فن الاستماع، فكما أن للكلام فناً وأدباً، فكذلك للاستماع. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للوليد: (أو قد فرغت) ⁽⁴⁹⁾

سادساً: الاحترام والمحبة على رغم الخلاف

لقد اختلف السلف فيما بينهم، وبقيت بينهم روابط الأخوة الدينية فهذان الخليفان الراشدان، أبو بكر وعمر، يختلفان في أمور كثيرة، وقضايا متعددة، مع بقاء الألفة والمحبة، ودوام الأخوة والمودة.

نماذج من حوارات إبراهيم عليه السلام:

حواره مع ربه تعالى. قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ⁽⁵⁰⁾). قال ين كثير في تفسيره لهذه الآية» (كروا لسؤال إبراهيم عليه السلام، أسباباً، منها: أنه لما قال لنمرود: (ربي الذي يحيي ويميت) أحب أن يترقى من علم اليقين في ذلك إلى عين اليقين، وأن يرى ذلك مشاهدة وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: رب أريني كيف تحيي الموتى؟ قال: أولم تؤمن. قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي" ⁽⁵¹⁾....

قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك اختلف المفسرون في هذه الأربعة: ما هي؟ وإن كان لا طائل تحت تعيينها، إذ لو كان في ذلك متهم لنص عليه القرآن، فروي عن ابن عباس أنه قال: هي الغرنوق، والطاوس، والديك، والحمامة. وعنه أيضاً: أنه أخذ وزاً، ورألاً وهو فرخ النعام وديكا، وطاوساً. وقال مجاهد وعكرمة: كانت حمامة، وديكا، وطاوساً، وغراباً. فصرهن إليك أي: قطعهن، فذكروا أنه عمد إلى أربعة من الطير فذبحهن، ثم قطعهن ومنتف ريشهن، ومزقهن وخلط بعضهن في بعض، ثم جزأهن أجزاء، وجعل على كل جبل منهن جزءاً، قيل: أربعة أجبل. وقيل: سبعة. قال ابن عباس: وأخذ رؤوسهن بيده، ثم أمره الله عز وجل، أن يدعوهن، فدعاهن كما أمره الله عز وجل، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش، والدم إلى الدم، واللحم إلى اللحم، والأجزاء من

كل طائر يتصل بعضها إلى بعض ، حتى قام كل طائر على حدته ، وأتينه يمشين سعياً ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها ، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم ، عليه السلام ، فإذا قدم له غير رأسه يأباه ، فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جثته بحول الله وقوته واعلم أن الله عزيز حكيم لا يغلبه شيء ، ولا يمتنع منه شيء ، وما شاء كان بلا ممانع لأنه العظيم القاهر لكل شيء ، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ، ولكن ليطمئن قلبي و ما في القرآن آية أرجى عندي منها .⁽⁵²⁾

معنى الآية ظاهرٌ في أنَّ إبراهيم عليه السلام خاطب ربه سائلاً إياه أن يريه كيفية إحياء الموتى عياناً، فسأله ربه وهو أعلم به عن إيمانه، حيث يدل ظاهر السؤال على وجود خواطر في القلب حول هذه المسألة، فأجابه إبراهيم ببقاء إيمانه، وأنه بسؤاله يريد أن يطمئن قلبه حتى لا تغلبه تلك الخواطر العارضة، فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة أجناس من الطير، ثم يذبحها ويقطعها أشلاء ثم يجعل هذه الأشلاء فوق عددٍ من الجبال موزعة عليها، وأمره بعد ذلك أن يدعو الأجناس من الطير الممزقة فتلتئم ثم تأتية مسرعة كهيتها قبل أن يذبحها؛ ليرى بأمر عينيه إمكانية إحياء الموتى.

حواره مع أبيه :

قال تعالى : (وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ، قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا)⁽⁵³⁾.

قال القرطبي⁽⁵⁴⁾ : (واذكر في الكتاب الذي أنزل عليك وهو القرآن قصة إبراهيم وخبره و اقرأ عليهم يا محمد في القرآن أمر إبراهيم فقد عرفوا أنهم من ولده ، فإنه كان حنيفاً مسلماً وما كان يتخذ الأنداد ، فهؤلاء لم يتخذوا الأنداد ؟ ! وهو كما قال : ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه، أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك أي من اليقين والمعرفة بالله وما يكون بعد الموت ، وأن من عبد غير الله عذب

. فاتبعني إلى ما أدعوك إليه . أهدك صراطا سويا أي أرشدك إلى دين مستقيم فيه النجاة .، يا أبت لا تعبد الشيطان أي لا تطعه فيما يأمرك به من الكفر ، ومن أطاع شيئا في معصية فقد عبده .

إن الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن أي إن مت على ما أنت عليه . إني أخاف أن تموت على كفرك فيمسك العذاب . فتكون للشيطان وليا أي قرينا في النار .، قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم أي أترغب عنها إلى غيرها . لئن لم تنته لأرجمنك قال الحسن : يعني بالحجارة . أو بالقول ؛ أي لأشتمنك . أو لأضربنك . أو لأظهرن أمرك . لأرجمنك واهجرني أي اعتزلني سالم العرض لا يصيبك مني معرة ؛ قال سلام عليك لم يعارضه إبراهيم - عليه السلام - بسوء الرد؛ لأنه لم يؤمر بقتاله على كفره . وقال قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم الآية ؛ وقال إبراهيم لأبيه سلام عليك⁽⁵⁵⁾ .

حواره مع قومه:

قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ، قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ، قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ، وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ، فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ، قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتِ إِنَّهُ لِمِنَ الظَّالِمِينَ ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ، قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ، قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِ يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ فَلَمَّا يَأْتِيَ النَّارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ⁽⁵⁶⁾ .

قال الشوكاني⁽⁵⁷⁾ في تفسيره (المعنى أعطيناه هداة من قبل النبوة: أي وفقناه للنظر والاستدلال لما جن عليه فرأى الشمس والقمر والنجم، قال: وأبوه هو آزر «وقومه»

فروذ ومن اتبعه، والتمائيل الأصنام، وأصل التمثال الشيء المصنوع مشابهاً لشيء من مخلوقات الله سبحانه، يقال مثلث الشيء بالشيء: إذا جعلته مشابهاً له، واسم ذلك الممثل تمثال، أنكر عليهم عبادتها بقوله: «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون» والعكوف عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء، واللام في لها للاختصاص، ولو كانت للتعديدية لجيء بكلمة على: أي ما هذه الأصنام التي أنتم مقيمون على عبادتها؟ وقيل إن العكوف مضمن معنى العبادة.

قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين» أجابوه بهذا الجواب الذي هو العصا التي يتوكأ عليها كل عاجز، والحبيل الذي يتشبث به كل غريق، وهو التمسك بمجرد تقليد الآباء: أي وجدنا آباءنا يعبدونها فعبدناها اقتداءً بهم ومشياً على طريقتهم، وهكذا يجيب هؤلاء المقلدة من أهل هذه الملة الإسلامية، وإن العالم بالكتاب والسنة إذا أنكر عليهم العمل بمحض الرأي المدفوع بالدليل قالوا هذا قد قال به إمامنا الذي وجدنا آباءنا له مقلدين وبرأيه آخذين، وجوابهم هو ما أجاب به الخليل ها هنا. قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين» أي في خسران واضح ظاهر لا يخفي على أحد ولا يلتبس على ذي عقل، فإن قوم إبراهيم عبدوا الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر، وليس بعد هذا الضلال ضلال، ولا يساوي هذا الخسران خسران، «قالوا أجتئنا بالحق أم أنت من اللاعبين» أي أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب مازح قال مضرباً عما بنوا عليه مقاتلهم من التقليد. بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن» أي خلقهن وأبدعهن «وأنا على ذلكم» الذي ذكرته لكم من كون ربكم هو رب السموات والأرض دون ما عداه «من الشاهدين» أي العالمين به المبرهنين عليه، فإن الشاهد على الشيء هو من كان عالماً به مبرهنًا عليه مبيناً له..

«وتالله لأكيذن أصنامكم» أخبرهم أنه سينتقل من المحاجة باللسان إلى تغيير المنكر بالفعل ثقة بالله سبحانه ومحاماة على دينه، والكيذ المكر: يقال كاده يكيده كيداً ومكيدة، والمراد هنا الاجتهاد. في كسر الأصنام: قيل إنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك سراً، وقيل سمعه رجل منهم «بعد أن تولوا مدبرين» أي بعد أن ترجعوا من عبادتها ذاهبين منطلقين. «فجعلهم جذاذاً» فصيحة: أي فولوا، فجعلهم جذاذاً: الجذ

القطع والكسر، يقال جذذت الشيء قطعته وكسرتة، الواحد جذاذة، والجذاذ ما كسر منه «إلا كبيراً لهم» أي للأصنام «لعلهم إليه» أي إلى إبراهيم «يرجعون» فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم، وقيل لعلهم إلى الصنم الكبير يرجعون فيسألونه عن الكاسر، لأن من شأن المعبود أن يرجع إليه في المهمات، فإذا رجعوا إليه لم يجدوا عنده خبراً، فيعلمون حينئذ أنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرراً، ولا تعلم بخير ولا شر، ولا تخبر عن الذي ينوبها من الأمر، وقيل لعلهم إلى الله يرجعون، وهو بعيد جداً.

قالوا من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين» فلما رجعوا من عيدهم ورأوا ما حدث بالهتهم قالوا هذه المقالة، «سمعنا فتى»، وهذا القائل هو الذي سمع إبراهيم يقول: «تالله لأكيذن أصنامكم».

قالوا فاتوا به على أعين الناس «القائلون هم السائلون، أمروا بعضهم أن يأتي به ظاهراً يمرأى من الناس. قيل إنه لما بلغ الخبر غمروا وأشرف قومه كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، فقالوا هذه المقالة ليكون ذلك حجة عليه يستحلون بها منه ما قد عزموا على أن يفعلوه به، ومعنى «لعلهم يشهدون» لعلهم يحضرون عقابه حتى ينزجر غيره عن الاقتداء به في مثل هذا، وقيل لعلهم يشهدون عليه بأنهم رأوه يكسر الأصنام، أو لعلهم يشهدون طعنه على أصنامهم». قالوا أأنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم» فجاء إبراهيم حين أتوا به فاستفهموه هل فعل ذلك، لإقامة الحجة عليه في زعمهم.

قال بل فعله كبيرهم هذا» أي قال إبراهيم مقيماً للحجة عليهم مبكراً لهم، بل فعله كبيرهم هذا مشيراً إلى الصنم الذي تركه ولم يكسره «فاسألوهم إن كانوا ينطقون» أي إن كانوا ممن يمكنه النطق ويقدر على الكلام ويفهم ما نفال له، فيجيب عنه بما يطابقه، الفاعل كبيرهم. فرجعوا إلى أنفسهم» أي رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته المتفطن لصحة حجة خصمه المراجع لعقله، وذلك أنهم تنبهوا وفهموا عند هذه المقابلة بينهم وبين إبراهيم أن من لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن فعل به ما فعله إبراهيم بتلك الأصنام يستحيل أن يكون مستحقاً للعبادة، ولهذا «قالوا إنكم أنتم الظالمون» أي قال بعضهم لبعض: أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة هذه الجمادات، وليس الظالم من نسبتكم الظلم إليه

بقولكم: إنه لمن الظالمين.

ثم نكسوا على رؤوسهم « أي رجعوا إلى جهلهم وعنادهم، ثم قالوا بعد أن نكسوا مخاطبين لإبراهيم «لقد علمت ما هؤلاء ينطقون» أي قائلين لإبراهيم لقد علمت أن النطق ليس من شأن هذه الأصنام.

«قال» إبراهيم مبكثاً لهم ومزياً عليهم «أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً» من النفع «ولا يضركم» بنوع من أنواع الضرر.

ثم تضجر عليه السلام منهم، فقال «أف لكم ولما تعبدون من دون الله» وفي هذا تحقير لهم ولمعبوداتهم، «أفلا تعقلون» أي ليس لكم عقول تتفكرون بها، فتعلمون هذا الصنع القبيح الذي صنعتوه.

«قالوا حرقوه» أي قال بعضهم لبعض لما أعيتهم الحيلة في دفع إبراهيم، وعجزوا عن مجادلته، وضاحت عليهم مسالك المناظرة حرقوا إبراهيم انصرافاً منهم إلى طريق الظلم والغشم، وميلاً منهم إلى إظهار الغلبة بأي وجه كان، وعلى أي أمر اتفق، ولهذا قالوا «وانصروا آلهمكم إن كنتم فاعلين» أي انصروها بالانتقام من هذا الذي فعل بها ما فعل إن كنتم فاعلين للنصر وقيل هذا القائل هو عمرو، وقيل رجل من الأكراد.

قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم « فأضرموا النار، وذهبوا بإبراهيم إليها، فعند ذلك قلنا: يا نار كوني ذات برد وسلام، وأرادوا به كيداً» أي مكرراً «فجعلناهم الأخرين» أي أخسر من كل خاسر، ورددنا مكرهم عليهم، فجعلنا لهم عاقبة السوء، كما جعلنا لإبراهيم عاقبة الخير. أطيب⁽⁵⁸⁾.

ثم بدأ إبراهيم عليه السلام بعد ذلك في حوارهِ مع أبيه وتأمّل معي هذا الأسلوب الدعوي الرائع؛ فقد نادى والده بلفظ الأبوة الذي يدل على حنوه عليه، وشفقته به؛ ليستميله، وليكون ذلك أكثر تأثيراً عليه، وليكسر حدة الأب على ابنه فلم يعتمد إلى أسلوب الأمر المباشر، أو النهي المباشر فيقول مثلاً: لا تعبد الشيطان أو لا تعبد ما لا يسمع، وإنما قال: أي لم تعبد أصناماً ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعبادها نفعاً ولا ضرراً، بل لا تملك لأنفسها شيئاً من النفع، ولا تقدر

على شيء من الدفع وهذه القضية -أي قضية التوحيد- هي أول قضية كان الأنبياء عليهم السلام يدعون أقوامهم إليها ولذا وجب علينا معاشر الدعاة أن نتأسى بهم فتكون هذه القضية هي قضيتنا الأولى التي ندعو الناس إليها قبل أي قضية.

حواره مع النمرود:

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ⁽⁵⁹⁾.

قال بن جرير⁽⁶⁰⁾ في تفسيره (ألم تر، يا محمد، إلى الذي حاج إبراهيم في ربه حين قال له إبراهيم: "ربي الذي يحيي ويميت"، يعني بذلك: ربي الذي بيده الحياة والموت، يحيي من يشاء ويميت من أراد بعد الإحياء. قال: أنا أفعل ذلك، فأحيي وأميت، أستحيي من أردت قتله فلا أقتله، فيكون ذلك مني إحياء له قال إبراهيم صلى الله عليه وسلم: فإن الله الذي هو ربي يأتي بالشمس من مشرقها، فأت بها- إن كنت صادقاً أنك إله- من مغربها! قال الله تعالى ذكره: "فبهت الذي كفر"، يعني انقطع وبطلت حجته.⁽⁶¹⁾

هذه المناظرة بين إبراهيم والنمرود أمام جمع من الناس حققت مقصدها الدعوي حيث ظهر الحق حين كانت النتيجة بعد المناظرة: (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ). وإن مناظرة إبراهيم كانت ضمن منهج الحوار الهادف إلى الإقناع بعقيدة التوحيد لذلك تدرج معه في الحجّة، ولما لمس عناده وإصراره اضطر أن يعطيه حجّة بالغة أحدثت صدمة فكرية له رافقتها حالة حيرة وقلق، وهذا خير الأساليب لاستنفار الفطرة السليمة في الإنسان لتتجه به إلى طريق الحق.

الخاتمة:

الحمد لله الذي وفقني، وأعانني على إنجاز هذا البحث ، والذي من خلاله استطعت تسليط الضوء على أداب الحوار العقدي في القرآن الكريم إبراهيم عليه السلام أمودجاً واستقيت منه نتائج وتوصيات عديدة :

النتائج :

- إن منهج الجدال والحوار الإسلامي قادر على احتواء جميع الصراعات والاختلافات.
- القرآن الكريم حامل بالحوار غير المباشر مع أقوال المكذبين والدهريين والناكرين لوجود الله والمكذبين لرسله، وقد سيقى حججهم كلها في أنصع عبارة وتم الرد عليها .
- يستحضر القرآن الكريم الرأي المقابل رغم فسادة، من دون أن يبتز كلامه ويشوّهه ويقطعه ليعلمنا الأدب الرفيع في الحوار الذي استوجب أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة من دون اتهامات أو تهديد أو تكفير.

التوصيات:

- ضرورة الحوار القرآني مع أصحاب الملل المختلفة يدفع كل مسلم صادق في إيمانه إلى أن يسلك سبيل القرآن في الدعوة بكل الوسائل الخطابية والجدلية والبرهانية.
- توضيح الإسلام هو دين الحوار ولكنه الحوار المتكافئ القائم على إرادة الفهم، وإرادة العلم، وإرادة التعايش بعيداً عن مختلف الإكراهات السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية.
- أوصي بأن حوارات القرآن الكريم كلها دروس وعبر، ومنها مناشدة المخالفين لبيان سر مخالفتهم حتى توضح لهم الطريق الذي حادوا عنه، وأول حوار مع إبليس عن سر رفضه الامتثال لأمر ربه جل وعلا للسجود لآدم عليه السلام وفيه دعوة للحوار مع المخالفين حتى وإن كانوا غير مسلمين.

المصادر والمراجع

- (1) القرآن الكريم
- (2) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، بعناية أحمد شاكر، الناشر: زكريا علي يوسف.
- (3) الإرشاد إلى معرفة الأحكام، للسعدي، مكتبة المعارف الرياض، 1400هـ.
- (4) -الأعلام، للزركلي، الطبعة السادسة، 1984م، دار العلم للملايين، بيروت.
- (5) البداية والنهاية، لابن كثير، الطبعة الأولى 1348هـ، مطبعة كردستان مصر.
- (6) البداية والنهاية، لابن كثير، الطبعة الأولى 1348هـ، مطبعة كردستان مصر.
- (7) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حزم، تحقيق: أحمد الحمد، الطبعة الأولى 1408هـ، مكتبة التراث، مكة .
- (8) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، تحقيق: سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر.
- (9) الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، دار صادر بيروت.
- (10) الشعر والشعراء، لابن قتيبة، دار صادر بيروت.
- (11) الصلاة و حكم تاركها، لابن القيم، تحقيق: تيسير زعتر، الطبعة الأولى، 1400هـ، المكتبة الإسلامية بيروت.
- (12) المحلى، لابن حزم، تحقيق: حسن زيدان، مكتبة الجمهورية العربية .
- (13) المستدرک، للحاكم، المجلد الرابع، مكتبة المعارف الرياض .
- (14) المسند، للإمام أحمد، دار صادر، بيروت.
- (15) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، لأحمد الفيومي دار الكتب العلمية، بيروت.
- (16) إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (17) أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، صفحة.
- (18) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، الطبعة الأولى، 1357هـ، دار الكتب المصرية القاهرة.
- (19) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 1408هـ، دار الريان، القاهرة .
- (20) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، 1411هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- (21) سنن البيهقي، للإمام البيهقي، دار الفكر .
- (22) سنن بن ماجة، للإمام بن ماجة، مطبعة القاهرة .

- (23) سير أعلام النبلاء، للذهبي، الطبعة الأولى، 1409هـ، مؤسسة الرسالة بيروت .
- (24) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لإبن العماد الحنبلي، الطبعة الأولى، 1399هـ، دار الفكر .
- (25) شرح العقيدة الطحاوية، لإبن أبي العز، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن، الطبعة الأولى، 1408هـ مؤسسة الرسالة، بيروت .
- (26) صحيح البخاري، للإمام البخاري، الطبعة الأولى، 2003م، مكتبة الصفا .
- (27) صحيح مسلم، للإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد، الطبعة الأولى، 1400هـ، دار الإفتاء.
- (28) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، مطبعة القاهرة.
- (29) فتاوى، السبكي، دار المعرفة بيروت .
- (30) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لإبن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- (31) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، للغزالي، تحقيق: محمد أبو العلا، مكتبة الجندي.
- (32) لسان العرب، لإبن منظور، دار صادر، بيروت.
- (33) مختار الصحاح، للرازي، تحقيق: محمود خاطر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة .
- (34) مختصر الصواعق المرسله، لإبن القيم، دار الفكر.
- (35) مدارج السالكين، لإبن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية القاهرة.
- (36) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
- (37) الذيل على طبقات الحنابلة، لإبن رجب، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية 1372هـ.
- (38) العواصم والقواصم، لإبن الوزير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، 1412هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- (39) درء الفتنة، لبكر أبي زيد، الطبعة الثانية، 1424هـ، الناشر دار العاصمة، الرياض.
- (40) عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي إسماعيل الصابوني، تحقيق: بدر البدر، الطبعة الأولى، 1404هـ، الدار السلفية، الكويت.
- (41) مجموعة الرسائل والمسائل، لإبن تيمية، تحقيق: محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، 1403هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- (42) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، 1389هـ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- (43) الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مصطفى الحلبي، القاهرة 1396هـ.
- (44) معجم مقاييس اللغة، لإبن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، 1392هـ، مكتبة الحلبي، مصر.
- (45) معجم مقاييس اللغة : احمد فارس زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، (د - ط)، 1979م .
- (46) لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: السفاريني، مؤسسة الحافقين ومكتبتها، دمشق، ط2، 1982.
- (47) المواقف : عبد الرحمن بن احمد بن عبد القفار، تحقيق: عبد الرحمن عميره ، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط1، 1997م.
- (48) الوجيز في عقيدة السلف الصالح، واهل السنه والجماعة: عبد الله بن عبد الحميد ، مراجعه وتقديم: صالح بن عبد العزيز، دار الشئون الاسلامية والاقواف والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، ط1.
- (49) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422
- (50) التوحيد للناشئة والمبتدئين ، عبد العزيز بن محمد بن علي ، وزاره الشئون والاقواف والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ
- (5) فتح القدير ، الشوكاني 5 / 432
- (6) سورة البقرة، الآية : 258، 259
- (7) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن كثير الطبري ، إمام ، حافظ ، مجتهد ، مفسر ، مؤرخ ، صاحب تصانيف كثيرة منها جامع البيان في تاويل آي القرآن ، التاريخ الكبير ، والتاريخ الصغير ، والتاريخ الأوسط ، التبصير في معالم الدين ، مات ببغداد عام 310هـ/ 923م، انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ، المجلد الثالث ، صفحة 115، البغدادى، تاريخ بغداد، للخطيب المجلد الثانى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، صفحة 162.
- (8) الجامع في تأويل أي القرآن ، ابن جرير، المطبعة الميمنية ، مصر، 2 / 432

المصادر والمراجع:

- (1) ابن منظور مُحَمَّد بن مُكْرَم بن عَلِيّ بن أَحْمَد بن حِقَّة الأَنْصَارِيّ الإفْرِيقِيّ كَانَ يُنسَب إِلَى رُوَيْفَع بن ثَابِت الأَنْصَارِيّ، من صحابة رَسُول الله وَهُوَ صَاحِب «لِسَان الْعَرَب». وَلِدَ ابْن مَنْظُور فِي الْقَاهِرَةِ، وَقِيلَ فِي طَرَابُلُس، فِي شَهْرِ الْمُحَرَّم سَنَةِ 630 هـ سَنَةِ 1232 م ، عَجَم «لِسَان الْعَرَب» فِي اللُّغَةِ، مُخْتَصَر «تَارِيخ بَغْدَاد» لِلخَطِيب البَغْدَادِيّ فِي عَشْرَةِ مجلدات، مُخْتَصَر «تَارِيخ دِمَشق» لِابْن عَسَاكِر. أنظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ط4 سنة ، 321 / 4 ،
- (2) لسان العرب ، لابن منظور ، ط 3 ، ج 4 / 342
- (3) القاموس البسيط ، الفيروزآبادي ، مادة حور ، دار الفكر بيروت ، ط398 هـ ص2/15
- (4) لسان العرب ابن منظور ، ، مادة نظر ، دار صادر ، بيروت (د،ت) ، ص25
- (5) التعريفات الجرجاني ، ط 3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة 1408 هـ - 1988 م ، ص 232 لسان العرب، ابن منظور ، مادة جدل ، دار صادر ، بيروت، 11/105 ، وانظر : الرازي : أبوبكر محمد : مختار الصحاح ، مادة جدل ، ص96
- (6) التعريفات ، الجرجاني، ط3 ، مصدر سابق ، ص74
- (7) معجم مقاييس اللغة : احمد فارس زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د - ط)، 1979م، (4 / 86).
- (8) سورة النساء، الآية: 33
- (9) سورة النحل، الآية: 91
- (10) 11⁰ / لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثريه لشرح الدرّة المضيّة في عقد الفرقة المرضية: السفاريني، مؤسسة الحافقين ومكتبتها، دمشق، ط2، 1982، (1/60).
- (11) المواقف : عبد الرحمن بن احمد بن عبد القفار، تحقيق: عبد الرحمن عميره ، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط1، 1997م، (1 / 3).
- (12) الوجيز في عقيدة السلف الصالح، واهل السنه والجماعه: عبد الله بن عبد الحميد ، مراجعه وتقديم: صالح بن عبد العزيز، دار الشئون الاسلاميه والوقف والدعوه والارشاد، المملكة العربيه السعوديه، ط1، (1 / 24).
- (13) سورة فصلت، الآية: 30.
- (14) اخرجه البخاري محمد بن اسماعيل في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422، كتاب الإيمان، باب ، الحياء من الإيمان ، رقم الحديث : 25، 14/1 . سورة البقرة، الآية: 112.

- (15) سورة الاعراف، الآية: 96 .
- (16) سورة الانبياء، الآية: 105.
- (17) التوحيد للناشئه والمبتدئين: عبد العزيز بن محمد بن علي ، وزاره الشئون والوقوف والدعوه والارشاد، المملكة العربية السعودية، ط1422هـ، (1/32).
- (18) سورة القيامة، الآية : 17
- (19) لسان العرب ،ابن منظور ، ، 1 / 128
- (20) البرهان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق : د. فتحي عبد القادر ، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1402 هـ ، صفحة 39
- (21) سورة الأنبياء، الآية : 51
- (22) البداية والنهاية ،ابن كثير، ، الطبعة الخامسة 1980م دار صادر ، بيروت، 1 / 176
- (23) سورة البينة الآية : 5
- (24) الجامع الصحيح، مسلم ،، المطبعة الحليية ، 1 / 232
- (25) سورة يوسف، الآية: 108.
- (26) ⁽¹⁾ مفتاح دار السعادة، لابن القيم ، 1 / 154.
- (27) ⁽²⁾ شرح النووى على صحيح مسلم، 2 / 23.
- (28) (3) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبى ، من مشاهير الأئمة الكبار، ولد في غزة عام 150هـ/768م ، في العام الذى توفي فيه أبو حنيفة، برع في فنون كثيرة له مذهبان القديم والجديد ، وله عدة مؤلفات ، كتاب الأم، وكتاب الرسالة ، انظر:طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي ، 1 / 15 - 35 ، وانظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي ، 10 / 5 .
- (29) (4) الأم، للإمام الشافعى، الطبعة الثانية، عام 1393هـ دار المعرفة ، بيروت، 6 / 157
- (30) (5) الرِّبْعُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ كَامِلٍ الْمُرَادِيِّ، الْإِمَامُ، الْمُحَدَّثُ، الْفَقِيهُ الْكَبِيرُ، بَقِيَّةُ الْأَعْلَامِ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُرَادِيُّ مَوْلَاهُمْ، الْمِصْرِيُّ، الْمُؤَدَّنْ، صَاحِبُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَنَاقِلُ عِلْمِهِ، وَشَيْخُ الْمُؤَدَّنِينَ بِجَامِعِ الْفُسْطَاطِ، وَمُسْتَمَلِي مَشَايخِ وَقْتِهِ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، أَوْ قَبْلَهَا بَعَامٍ، مَوْلَدُهُ، سِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ، الْذَهَبِيُّ، « الطبعة الأولى 1995م دار صادر ، بيروت، 4/354 ، طبقات الشافعية ، السبكي ، 2 / 132 .
- (31) (6) الأم الشافعي ، المكتبة الحليية ، دمشق ، 2 / 432
- (32) سورة آل عمران، الآية: 113
- (33) سورة المائدة ، الآية : 54

- (34) هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي الشافعي ، حافظ ، محدث ، مؤرخ ، مفسر ، فقيه ، ولد عام 700هـ / 1301م ، له عدة مؤلفات منها تفسيره المشهور ، كتاب البداية والنهاية ، وكتاب السيرة النبوية ، والباحث في علوم الحديث ، وغيرها من الكتب المفيدة ، توفي بدمشق عام 774هـ / 1372م ، انظر : ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر العسقلاني ، 1 / 399 ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة بيروت ، 1 / 153 .
- (35) سورة الفتح ، الآية : 29
- (36) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، 3 / 136
- (37) مسلم ، الجامع الصحيح ، رقم الحديث 5289
- (38) هو أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ، ولد سنة 476هـ / 1083م ؛ له رحلات عديدة في طلب العلم ، كان من قطاع الطرق ، وولى القضاء ، له مؤلفات كثيرة أشهرها : الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ، من أكابر علماء المذهب المالكي ، توفي بمراكش سنة 544هـ / 1149م ، انظر : ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون ، 2 / 46 ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، 20 / 212
- (39) ، كمال المعلم شرح صحيح مسلم ، القاضي عياض ، 8 / 59
- (40) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، الامام حقاً ، ولد عام 164هـ / 781م ، بمرور ، كان آية في العلم ، والحفظ والعبادة ، دافع عن السنة ونصرها ورد على المبتدعة وصبر في محنته خلق القرآن له عدة مصنفات منها المسند ، والمسائل المروية ، وكتاب الصلاة ، وكتاب الزهد ، توفي عام 241هـ / 855م ، وصلى عليه مئات الالوف ، انظر : طبقات الحنابلة ، لأبي الحسين بن أبي يعلى ، 1 / 4 ، سير أعلام النبلاء لذهبي ، 11 / 177 .
- (41) عدة الصابرين ، ابن القيم 113
- (42) سورة آل عمران ، الآية : 200
- (43) (6) سورة آل عمران ، الآية : 159 .
- (44) (7) سورة التوبة ، الآية : 128 .
- (45) (8) سورة طه ، الآية : 44 .
- (46) (1) صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، المجلد الثاني ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق ، صفحة 640 ، رقم الحديث 2593 .
- (47) (2) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، للخلال ، تحقيق : عبد القادر عطا ،

- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1406هـ، صفحة 33.
- (48) (3) صحيح البخاري، للإمام البخاري، المجلد الثالث، كتاب الآداب، باب الرفق في الأمر كله، صفحة 143، رقم الحديث 6025.
- (49) (4) صحيح مسلم، للإمام مسلم، المجلد الأول، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، صفحة 381، رقم الحديث 537.
- (50) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المبارك فوري، صفحة 44
- (51) سورة البقرة، الآية: 260
- (52) الجامع الصحيح، مسلم، 4 / 342
- (53) تفسير القرآن العظيم، 1، / 234
- (54) سورة مريم، الآية: 41، 47
- (55) محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي الأندلسي، مالكي المذهب، فقيه مفسر، سافر كثيراً في طلب العلم، له مؤلفات منها، الجامع لأحكام القرآن، مات بمصر سنة 671هـ / 1272م، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، الطبعة الأولى 1399هـ، دار الفكر بيروت، 1 / 335. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي، 2 / 308.
- (56) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 3 / 214
- (57) سورة الأنبياء، الآية: 51، 70
- (58) هو محمد بن علي الشوكاني، الصنعاني، زيدي، مفسر، محدث، فقيه، اصولي، عابد، زاهد، ولد عام 1173هـ / 1759م، له مؤلفات كثيرة، تفسير فتح القدير، ومنها كتابه الجامع المسمى نيل الأوطار، ارشاد الثقات الي اتفاق الشرائع على التوحيد، والمعاد والنبوات، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحفة الذاكرين، توفي بصنعاء عام 1250هـ / 1835م، انظر: نيل الأوطار، 2 / 297، والبدر الطالع، 2 / 214.